Journal of Humanitarian and Applied Sciences - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
(رقم الإيداع المحلي 95 / 2020) - (ISSN: 2706- 9087) - (معامل التأثير العربي شهادة رقم: 472 - 2020)
كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جـامعة المرقب
Volume 8 – Issue 15 المجلد 8 العدد 15

تأويل النص الشعري
قصيدة "حين لا تصل" للشاعر الليبي محمد المزوغي أنموذجًا

د. ميلود مصطفى عاشور
أستاذ مساعد ، تخصص نقد أدبي حديث
كلية اللغات جامعة المرقب – ليبيا
mmashur@elmergib.edu.ly

Received: 25/03/2023	**Accepted:30/04/2023**

Abstract

The creative poetic text is a text that is open to many readings, a text that includes dense connotations. It suggests meanings that vary in clarity, because it is a text that rejects vulgarity and refuses to reveal a final meaning that can be ascertained, Muhammad Al-Mazwghi poetry abounds in many creative manifestations, including the openness of the text to horizons and substances that make the recipient interact with the poetic text, and not tire of hearing or reading it. Because each time he discovers what leads him to a new understanding, unique connotations, and revelations that reveal meanings from a different, unexpected angle. Through this interpretive reading, which is based on an analytical approach based on linguistic and social data, it helps to count the expected connotations, interpret the implicit meanings, and reveal the hidden intent behind the literary work.

Keywords: Muhammad Al-Mazwghi, interpretation, creativity, poetry, Libya.

ملخص

الفرق بين الشعر والنظم يشبه الفرق بين الشمس والقمر، فالشعر يمتاز بصدق التجربة الشعورية، وقوة العاطفة المبثوثة فيه، وفضاء الخيال الرحب، ويعبر بجلاء عن قدر المعاناة التي مر بها الشاعر بأسلوب جزل، ولغة موحية، تحدث أثرًا في المتلقي، فيكون له صدى في قلبه، يتلذذ بسماعه، ويستمتع بمطالعته، وتأمله، وتأويله، والنص الشعري الإبداعي هو نصٌ منفتحٌ على قراءاتٍ عديدةٍ، نصٌ يتضمن دلالاتٍ كثيفة، ويوحي بمعانٍ تتفاوت وضوحًا وجلاءً، وهذا أحد أسرار المتعة التي يجدها المتلقي حين يتعامل مع الإبداعي المنفتح؛ لأنه نصٌ يأبى الابتذال، ويرفض الكشف عن معنًى نهائيٍّ يمكن الجزم به، وشعر محمد المزوغي يزخر بمظاهر إبداعيةٍ عديدةٍ، منها انفتاح النص على آفاقٍ ومعانٍ تجعل المتلقي يتفاعل مع النص الشعري، ولا يمل سماعه أو مطالعته؛ لأنه في كل مرةٍ يكتشف ما يقوده إلى فهمٍ جديدٍ ودلالاتٍ فريدةٍ، وإيحاءاتٍ تكشف معانٍ من زاويةٍ مغايرةٍ، وفي هذه الدراسة نناقش مظهرًا من مظاهر براعة الشاعر الليبي محمد المزوغي في تصوير المعاني، وبناء النص وفق أسلوبٍ فريدٍ يدل على علو كعب الشاعر في هذه الصناعة، وذلك من خلال هذه القراءة التأويلية التي تقوم على منهجٍ تحليليٍّ يستند على معطياتٍ لغويةٍ واجتماعيةٍ تساعد على إحصاء الدلالات المتوقعة، لتأويل المعاني المضمرة، ولكشف القصد الخفي من وراء العمل الأدبي.

الكلمات المفتاحية: المزوغي، التأويل، الإبداع، الشعر، ليبيا

مشكلة الدراسة:

لا يزال النتاج الشعري في ليبيا أرضًا بكرًا، وسهلاً خصبًا، للعديد من الدراسات النقدية والأطاريح العلمية التي تكشف عن جمالياته، وتصف محاسنه، وتبرز قيمته، ويعد الشاعر الليبي محمد المزوغي أحد أبرز شعراء العمودية المعاصرين وأكثرهم نتاجًا في ميدان القريض، ومع هذا لا نقف إلا على قدرٍ يسيرٍ من الدراسات النقدية والأبحاث العلمية التي اهتمت بدراسة نتاج هذا الشاعر المبدع؛ لذا تأتي هذه الدراسة لتقدم قراءةً تأويليةً تسبر أغوار معاني النص، وتكشف عن ملامح من إبداع الشاعر، وتقف على بعض مظاهر البراعة في نسج خيوط المعنى الشعري.

الهدف من الدراسة:

الوقوف على ملامح الإبداع، ومقومات البراعة الشعرية من خلال قراءة تأويلية نتتبع فيها مظاهر الإبداع، ومواطن براعة الشاعر في اختيار الكلمات، ونسج العبارات، وتوظيفها في التعبير عن زفراته الحرَّى.

الدراسات السابقة:

قُدمت حول شعر محمد المزوغي العديد من البحوث والدراسات والمقالات النقدية مثل:

دراسة علاء الدين محمد الأسطى (2017) "حداثة القصيدة العمودية في شعر محمد الْمزوغي" خلص فيها إلى أن الشاعر الليبي محمد المزوغي هو أحد الشعراء المميزين على الساحة الليبية والعربية؛ لأن شعره غنيٌّ بأدوات التأليف التي تواكب هذا العصر المعاصر وتستشرف الأجيال القادمة لسعة أفق الرؤيا، والتوفيق في الإيحاءات التي تستدعي تأويلاتٍ متعددةٍ.

دراسة محمد الصادق الخازمي (2017) وهي ورقةٌ علميةٌ محكمةٌ بعنوان "تشخيص الحب في ديوان لا وقت للكره" خلص فيها إلى أن الشاعر برع في توظيف التشخيص في خدمة النص، وتقريب المعنى، واعتمده وسيلةً من وسائل التأثير في المتلقي.

دراسة يونس الفنادي، (2019) بعنوان: "القيمُ الإنسانية والأبعادُ الوطنية في ديوانِ لاَ وَقْتَ لِلْكُرْهِ" للشاعر محمد المزوغي، وقد خلص فيها الكاتب والناقد يونس الفنادي إلى انحياز الشاعر للذات الإنسانية، والمبادئ الخالدة في الحياة، وأنه الحرف الصادق الذي لا يعرف الانحناء والخنوع والحياد عن القيم التي يدافع عنها.

أولاً: الإبداع الشعري ومقوماته:

لقد أدرك النقاد القدامى أن الإبداع الشعري يتكون من أربع مراحل: تبدأ من لحظة تأملٍ لمشهدٍ يستوقف الشاعر فيثير شعوره، ويهتز له إحساسه، كأن يطرب أو يغضب، أو يفرح أو يعجب أو يتألم أو يغار أو يحب أو يكره، وهي مرحلة أولية لا بد منها؛ لأنها أساس الصدق في الإحساس والعاطفة، وهي ما يطلق عليه (Preparing stage) أي: لحظة الاستجابة أو مرحلة التهيؤ، ثم تليها المرحلة الثانية وهي مرحلة اختمار الفكرة (Incubation Stage)؛ حيث يتعاطى فيها الشاعر مع ما أثاره؛ إذ فيها تنعكس الصورة في عقله الباطن، فتحدث الأثر الذي يقود إلى تبلور الفكرة إلى نص شعري، ثم المرحلة الثالثة، وهي مرحلة إبداع النص أو لحظة الإلهام الشعري (The Creative moment)؛ حيث يكتمل فيها إطار القصيدة ويولد العمل الأدبي، فإما أن يرتجل الشاعر ويذيع النص أو يتأنى الشاعر ويؤثر مراجعته وتنقيحه، وهي المرحلة الرابعة (Revision Stage)؛ حيث يؤثر الشاعر عدم إظهار النص إلا بعد تنقيحه وتهذيبه. (المجالي، جهاد: 2008)

أما مقومات العمل الإبداعي فلا شك أن العبقرية في الإبداع الشعري أساسها عدم تكرار الفكرة، ومخالفة التوقع في عرضها، علاوة على قابلية النص على الانفتاح على دلالاتٍ عدةٍ؛ إذ إن الجدة والابتكار في أسلوب الطرح وطريقة استخدام

المفردات دون الإخلال بالنظام اللغوي هي من أهم مقومات النص الإبداعي، أما تحقق نظم الكلمات وفق الميزان الخليلي فلا يعني أن ما كُتِب نصٌ شعريٌّ إبداعيٌّ، هذا هو المعيار الأساس في التفريق بين ما هو شعر وما هو نظم وهو معيار ضاربٌ بجذوره في نقدنا العربي القديم؛ إذ على أساسه رفض الجاحظ نسبة بيتين شعريين كان يرويهما أبو عمر الشيباني لفرط إعجاب هذا الأخير بهما؛ لكن الجاحظ رفض نسبتهما إلى الشعر وهما قول أحد الشعراء:

لا تَحْسَبَنَّ الموتَ مَوْتَ البلى وإنما الموتُ سؤال الرجال

كلاهما مـــوتٌ ولكـــن ذا أقطعُ من ذاك لِذُلِّ السؤال

فاغتاظ منه الجاحظ ووجّه له نقدًا لاذعًا "وقال: وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعرًا أبدًا، ولولا أن أُدخِلَ في الحكم بعض الفتك؛ لزعمت أنّ ابنَه لا يقول شعرًا أبدًا " (الجاحظ: 1424، 67/2).

لقد سخر الجاحظ من صاحب هذين البيتين، وعدَّه ممَّن لا يقدر على الشعر ألبتة، وذلك لوقوفه عند حدود الفكرة المجردة المبتذلة، أو بعبارة أخرى فإن البيتين ليس لهما من حظ الشعر سوي الوزن والقافية، فهما أبعد ما يكون عن اللغة الشعرية؛ ولذلك انتهت جمالية التعبير بانحسار النص على المقصود؛ إذ يتطابق فيه قصد المؤلف مع مقصدية النص، مما يحول دون إمكانية مشاركة القارئ وتفاعله مع النص وانفتاحه على تأويلات يستمد منها النص السيرورة والحياة، وتحول دون تحنطه وابتذاله (فيدوح، 2009).

ولذلك يمكن القول بأن الإبداع الشعري يكون بالنص الذي ينفتح على دلالات لا حصر لها؛ بحيث لا يمكن إعطاء تحديد تجريدي لقصديته وعلى حد تعبير أمبرتو إيكو (2004: 77)"فقصدية النص ليست معطاة بشكلٍ مباشرٍ ... وهي مرتبطةٌ بتخمينات القارئ، وإن مبادرة القارئ تقوم أساسًا على قدرته على تقديم تخمين يخص النص" وهذا يوضح جهد المتلقي في رحلة تأويل النص والحفر عن قصديته؛ إذ إن النص ثابت أما فعل القراءة متجدد، وهذا يؤذن بتعدد التأويلات تبعًا لتعدد القراءات، فكل قراءة تنظر إلى النص من زاوية مختلفة لتستنبط مسوغات تأويله.

ويرى الباحث أن هذا هو السبب وراء إمكانية الإفلات من قصدية المؤلف لإنتاج معانٍ جديدة؛ فالقارئ –نفسه– يعيد إنتاج النص بصورة جديدة مع كل قراءة جديدة، مثل ما تتنوع قراءات النص تبعًا لتنوع المتلقين (سرحان، 2010)، كل ذلك في حدود المسوغات المنطقية التي تتيحها وسائل تماسك النص، وآليات انسجام معانيه ودلالاته، التي تمثل جزءًا أساسيًا في استراتيجيات الخطة التي وضعها الشاعر لتحقيق الهدف وفق المسار الذي رسمه الشاعر، ومن هنا تبدأ رحلة المغامرة مع النص ؛ فكلما عمد الشاعر إلى الإغراق في اللغة الأدبية بمجازاتها واستعاراتها وزاد من فراغات النص وإلماحاته ورموزه وإشاراته، كلما انفتح النص على دلالات وتأويلات أكثر، أما في حال اقتصار المؤلف على الوضوح والمعاني القريبة فإن النص ما يلبث أن يغدو مبتذلاً؛ لأنه حينها يكون غير قابلٍ للتأويل مما يؤذن بقرب موته.

ثانيًا: من هو المزوغي؟.

هو محمد سالم المزوغي من مواليد مدينة بنغازي سنة 1961م، أحد أبرز شعراء القصيدة العمودية الليبيين المعاصرين، شاعر فصيح، وأديب بارع، ملك زمام القريض فسما به إلى فضاء إبداعيٍّ حداثويٍّ رحبٍ، فضاء يُعلي من قيمة الإنسان، بل يُحيي الحبَ في الإنسان للإنسان.

يتبرأ الرحمن ممن همُّه أن يسجن الإنسان في الإنسان

الله حرّرَه فكيف تسوقُه لِيُعيد فيك عبادةَ الأوثـــــــــــــان؟!!

له ثمانية دواوين شعرية مطبوعة هي:

ديوان: ما تبقى من سيرة الوجد صدر عن دار المخطوط العربي سنة 2000م

ديوان: اتساع المدى صدر عن مجلس الثقافة العام 2004م

وديوان: لقطات صدر عن دار المخطوط العربي سنة 2008م

وديوان: بعض ما خبأ الياسمين ط1 عن دار الساقية 2013م

وديوان: لا وقت للكره عن مكتبة طرابلس العالمية 2018م

وديوان: العارفون عن دار إمكان 2018م

وديوان: نوستالجيا عن دار مكان 2019م

وديوان: متيمون عن دار مكان 2020م

وصف الناقد يونس الفنادي شعر المزوغي قائلاً: "إن قصائد الشاعر محمد المزوغي يمكن وصفها بالمظهر المتمرد على أنماط القوالب الشعرية الجامدة، في مدونة الشعر الليبي ليس من خلال تدفق إيقاعاتها الرنانة فحسب، بل في مضامينها الإنسانية والوطنية التي تنشدها، والأهداف والغايات التي توطنها في وجدان وفكر المتلقي، ولذلك أعتبرها دليلاً ونموذجًا لبعض ملامح تطور الشعر الليبي الحديث، والتي من خلالها يمكن أن نقدم الإجابة المؤكدة على ذاك السؤال النقدي الذي أطلقه الدكتور خليفة التليسي رحمه الله، منذ عقود بعيدة ولازال يتفاعل في المشهد الشعري الوطني الليبي وهو: هل لدينا شعراء؟ لتؤكد أن الشاعر الكبير محمد المزوغي هو فارس من فرسان القصيدة الليبية يلجم نصه الشعري الرقراق ذاك السؤال القديم المتجدد، ويقهره بقوة أشعاره وقصائده، ويجعله خجولاً يتوارى عنه بعيداً، ولا يقترب منه إلا ليصغى إليه بتمعن، ثم يصفق له بحرارة، ويعانقه ويحضنه بكل ابتهاج واعتزاز وافتخار".

وقال عنه الناقد العراقي عذاب الركابي (2007): "محمد المزوغي شاعرٌ يُعالجُ بالعشقِ ظمأ الروح، وبالشعرِ تربةَ الأحلام، كيلا تُصبحَ بوراً، وبالإشراق الصوفيِّ وآيات الوَجْد، يزرعُ شجرَ الأملِ ويقود بأناملَ نحيلةٍ جيوشَ التأملِ للانتصارِ على لحظاتِ اليأسِ القاتل، وما تبقى من سيرة الوجد – أعني ما تبقى من سيرتِه – عشقٌ حتَّى العظم، وشعرٌ حتَّى آخر كلمةٍ في بحورِ الكلام، وذنبٌ حتَّى آخرِ ضفافِ المغفرة"

ثالثًا: نص قصيدة "حين لا تصل" للشاعر الليبي محمد المزوغي:

تَأْتي بكَ الرِّيحُ
أَمْ تَمْضي بكَ السُّبُلُ
كلُّ الدُّرُوبِ سَواءٌ
حِينَ لا تَصِلُ

قد كنتُ أَحْسَبُ أَنّ الدّرْبَ يَحْمِلُني
حَتّى تَحَسّسْتُ ظَهْرِي

حِينَ أَرْتَحِلُ

تقولُ لي صَفْحَةٌ
في الصّبْرِ قد هُجرتْ
خُذْنِي إِلَيكَ
فَبِي وَحْدِي ستَكْتَمِلُ

أَوْغَلْتَ فِي الْجُرْحِ
فَانْظُرْ هَلْ تَرَى مُدُنِي
عَلَى ضِفَافِ جِرَاحِي
كَيفَ تَغْتَسِلُ

يَا وَرْدَةَ الْبَوحِ
لا عِطْرٌ فَيُسْكِرنِي
مِنْ بَعْدِهِمْ
أَنْصَفَ الْجُلاّسُ أَمْ عَذَلُوا

فَحَيْثُمَا الْتَفَتَتْ عَيْنَايَ قَابَلَنِي هذا الْجِدَارُ
عليه عُلّقَ الْمَلَلُ

أَظَلُّ أَبْحَثُ عَنّي
قد تركتُ هُنَا
بَعْضِي وأَكْثُرُنِي
فِي التّيهِ يَنْتَقِلُ

يدسُّ فِي خُطْوَتِي آثَارَهُ فَأَرَى ظِلاَلَ مَنْ عَبَرُوا
فِي الْجَمْرِ وَاتّصَلُوا

أَبْصَرْتُهُمْ حِينَ مَرُّوا
قَالَ عَارِفُهُمْ
خلّفتُ أهلي
وها قد جئتُ يا جبلُ

هَذَا الْحَنِينُ الّذِي خَبّأْتُهُ لُغَةٌ بِكُلِّ مُفْرَدَةٍ
لِلْعِشْقِ تَشْتَعِلُ

لِي لَحْظَةٌ عِنْدَهَا
مَا ضَمّهَا أَبَدٌ
أو خَطّ حَرْفاً لَهَا
فِي سِفْرِهِ أزلُ (الديوان: ص 10: ص 14)

رابعًا: القراءة التأويلية لقصيدة "حين لاتصل"

تتمحور هذه الدراسة حول جزئيات تعبر عن براعة الشاعر في نسج نصٍ شعريٍ منفتحٍ على دلالاتٍ واسعةٍ؛ حيث يضع الشاعر بين طيات النص القرائن والإيحاءات التي تساعد المتلقي على الغوص في إعماق النص لاكتشاف معانيه، ودلالاته التي تضمنتها لغة النص الرصينة، سواء بأسلوب تصويرها، أو باختيارات الشاعر لألفاظ بعينها، أو بنمط التصوير الفني البديع الذي اعتمده الشاعر في التأثير على المتلقي.

فها هو مثلاً يبدع في اختيار عتبة النص حيث ربطها الشاعر ربطًا مباشرًا بالنص؛ إذ كانت جزءًا من البيت الأول اقتصه الشاعر وجعله عنوانًا للقصيدة على النحو التالي "حين لا تصل"، وكان مطلع القصيدة البيت الذي يقول فيه:

تأتي بك الريحُ أم تمضي بك السبلُ كل الدروب سواء "حين لا تصلُ"

إن التكرار الذي يدركه المتلقي ما بين العنوان وجزء من المطلع، يعزز من احتمالات إغراء المتلقي بالنص؛ بحثًا عن المعنى الذي تضمنه الجزء المتكرر، فالتكرار هنا يشبه إلى حدٍ كبيرٍ إعادة النظر إلى الشيء ذاته؛ للأهمية التي يتضمنها، أو هو محاولة للفت انتباه المتلقي للدلالات الخفية التي تكتنف المعنى بسبب العموم الذي يتضمنه؛ إذ لا يفي وقوف المتلقي عند هذا البيت بما يأمَله ويطمح إليه من إفادة؛ حيث يتبقى في ذهن المتلقي أسئلة عدة تفرضها دلالة الوصول (إلى إين؟ وإلام؟ ولماذا؟ ومتى؟) وهي أسئلة من شأنها أن تغري المتلقي بالنص وتدعوه إلى الاسترسال في التعاطي مع النص ومطالعته وتلقيه.

ووقوفًا عند الإعلامية التي جاء بها العنوان، فإنها ذات إيحاء يؤول إلى زمانٍ ومكانٍ (زمن الوصول/ مكان الوصول) وهي مرتبطة بالنص ارتباطًا وثيقًا من خلال تكرار الشاعر لها في المطلع؛ أي: إنها ما تزال حاضرةً في ذهن المتلقي، وهي البداية التي ينطلق منها في جمع خيوط المعنى ومآلاته التي ستتشكل لاحقًا كلما استرسل المتلقي في التعامل مع نص القصيدة.
أما المطلع:
تأتي بك الريحُ أم تمضي بك السبلُ كل الدروب سواء حين لا تصلُ
فيـــــَـــــؤول معناه إلى (سيان، إن كنتَ مفعولاً به). مفعولاً به لا تملك الإرادة، فسواء أكنت قشةً تذروها الرياح، أم تائهًا تسير في دروب تجهل نهايتها.
إن معنى المفعولية هذا، أوحى به الشاعر عندما استعمل الفعل "تأتي" الذي فضله على الفعل الملازم لوصف الرياح وهو الفعل "تعصف" مع أن هذا الأخير كان صالحًا لإقامة الوزن بدلاً من الفعل "تأتي"؛ لكن المزوغي أراد أن يوحي بانتفاء الإرادة؛ إذ لو

استعمل الفعل "تعصف" لما أوحى بذلك الانتفاء فـــــلا مجال لمواجهة العاصفة أو محاولة الصمود أمامها؛ لكن الشاعر أراد أن يقول بطريقته وأسلوبه ولغته:

وما خيرٌ لمرءٍ في حيـــــــــاةٍ إذا ما عدَّ من سّقطِ المتاعِ

ومن براعة الشاعر أنه ينحو بالمعاني إلى أقصى درجات الإعلامية ويستخدم في ذلك تقنية الفجوات النصية ومخالفة التوقع والتقديم والتأخير، فمخالفة توقع المتلقي تعد آليةً من الآليات التي تعزز من انفتاح النص وتسمو به إلى الأدبية الرفيعة، فلنتأمل قوله في البيت الثاني من ذات القصيدة:

قد كنت أحسب أن الرب يحملني

فدلالة الوصول (التي في العنوان والمطلع) ماتزال حاضرة في ذهن المتلقي، ثم ها هو الشاعر يقدم له لازمًا من لوازمها وهو (الدرب /الطريق) والمعهود عند المتلقي أنه يتتبع الدرب فيحمله أو يقوده إلى غايته؛ لكن الشاعر خالف ما كان معهودًا متوقعًا فقال: حتى تحسست ظهري حين أرتحل

فيؤول المعنى: إن الشاعر يترحل في فضاءٍ خاصٍ لا يشبه فضاءات الآخرين ويسلك دربًا (يكاد لا يعرفه السالكون) لتميزه وتفرده وخصوصيته.

إن هذا البيت يوحي بأن المزوغي يسلك في الشعر مسلكًا لا يشبه مسالك غيره من الشعراء وهذه بؤرة الإبداع ونواة الجدة، وحقيقة التميز؛ فالمزوغي يحتفظ بأسلوبه وطريقته في الشعر يحمله على عاتقه أينما ترحّل، فكأنه أراد أن يوحي بأن أسلوبه الشعري من أهم ممتلكاته الخاصة فهو يحتفظ به ويحمله مثلما يحمل أي شيءٍ فريدٍ ونفيسٍ فهو هويته الخاصة التي لا تشبه أي هوية.

إن الدرجة العالية من الإعلامية (Informativity) التي تضمنها البيت الثاني هي سر جمال الصورة الفنية التي رسمها الشاعر؛ إذ بمخالفة الشاعر توقعات المتلقي أحدث دهشة تغري المتلقي بمحاولة التأويل وتفسير النص وتوجيه دلالاته حتى تتحقق متعة القبض على خيوط المعنى، فإعلامية النص بحسب تعريف روبرت دي بوجراند هي: "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي، في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم التوقع"؛ معنى ذلك أن الإعلامية تعني الجدة في الخبر المطروح، وعدم توقع المتلقي استقبال هذا الخبر بهذا الشكل، أو بتلك النسبة. (روبرت دي بوجراند،1980: 105)

فالشاعر في البيت السابق سعى إلى الإيحاء بأن إرادته وتصميمه على تحقيق هدفه في الحياة جعلاه يحمل دربه على ظهره يتوجه به دون كلل نحو غايته، ودلالة البيت تتركز إيحائها بعلو همة الشاعر ورفعة هدفه، ولا تخفى قوة الأنا في هذا البيت، ثم يلجأ الشاعر إلى الكشف عن بعض خيوط المعنى، ففي البيت الذي يليه يصرح الشاعر بعلاقته الوطيدة ومعرفته العتيدة بالصبر فيقول:

تقول لي صفحة في الصبر

فكتاب الصبر كله في حوزة الشاعر إلا صفحة واحدة لم يكن أحد ليطيق عناء حملها فهجرت في زوايا النسيان؛ لكن الشاعر التقطها ليكمل بها فصول كتاب الصبر.

إن كلمة الصبر بما توحي به من مشقة وعناء، لم تكن لتكفي الشاعر للتعبير عن قوة عزيمته، بل صور لنا الصبر كتابًا حاز أبوابه وملك فصوله، ثم عزز هذا المعنى بعد أن امتلك صفحة نادرة من صفحاته هجرها جل الناس لشدة مرارتها.

ثم تتوالى الأبيات التي تعزز هذا المعنى في تماسك بديع يلملم القارئ من خلالها دلالاتٍ متظافرةٍ تؤكد بعضها بعضًا فيقول:
تقول لي صفحة في الصبر قد هجرت خذني إليك فبي وحدي ستكتمل

لا شك أن منبع الشعر الشعور، والشاعر يتأثر بحسه المرهف بما يصادفه أو يشعر به تأثرًا واضحًا، يوقظ في نفسه تجليات نفسيةٍ تكون محورًا لعملية الإبداع؛ حيث توقظ تلك المواقف شرارًا يحفز الشحنات الخامدة، فتعتمل في نفس الشاعر مؤذنةً بميلاد العمل الفني بكل مميزاته التي تشي بالأصالة والإبداع الذاتي.

والعمل الأدبي عامة والشعري خاصة هو في حقيقته محاولة من الشاعر للترويح عن نفسه وتفريغ شحنات عاطفية يتوق إلى الارتياح من معاناة كبتها في نفسه، فيخرجها نصًا إبداعيًا يحكي إلحاح الأفكار والمواقف وشدة وطأتها حبًا أو كرهًا فرحًا أو ألماً وديدنه في ذلك هو إثارة المتلقي وتحريضه تجاه تلك الأفكار قبولاً أو رفضًا ترغيبًا أو ترهيبًا، كل ذلك يحدث تلبيةً لرغبة – تكاد تكون غريزة متأصلة في الشاعر الموهوب– تكمن في التعبير عن الشعور الذاتي بأسلوب فني بديع.

وبالعودة إلى البيت:

تقول لي صفحة في الصبر قد هجرت خذني إليك فبي وحدي ستكتمل

يجسد هذا البيت معنى جسارة المزوغي وعلو همته، فقد كابد في تحقيق ذاته فخبِر فصول الصبر فصلاً فصلاً دون كلل، بل إنه تفرد بجانبٍ منه فخاض في الصبر أصنافاً وأنواعاً هجرها كثيرون غيره، ومعنى أن نهجر الصبر صورة إبداعية مفعمة بالتأكيد بشكلٍ لافت، وهذه أمارة إبداع، ودليل تمكـــــــــُنِ الشاعر من أدواته وذلك لأنها أوحت بما يلي:

تقول لي = تدل على أن الشاعر يجيد لغة القائل ويفهمها

صفحة في الصبر = الصفحة تدل على الإفراد أي أن ما عداها ليس لديها ما تقول

صفحة = نكرة توحى بصعوبة تحديدها على غير الشاعر ذاته.

قد هجرت = قد دلت على تحقق الهجر والنسيان.

الهجر = يدل على التباعد بعد الوصال

خذني إليك= ضميرٌ يؤكده ضمير

فبي وحدي = تأكيد للمؤكد

ستكتمل= تأكيد للمعنى التميز عن الآخرين، فكلهم لا يملكون ما تملك.

وما يزال النص مفعماً بالدلالات التي تؤكد عصامية الشاعر وأصالة تجربته الشعرية وتفردها؛ فمثلاً حين يقول في ذات القصيدة:

فحيثما التفتت عيناي قابلني هذا الجدار عليه علق الملل

يوحي بأن مخيلة الشاعر رفضت تكرار ما قد كان؛ إذ أصبح مبتذلاً مُملاً؛ حيث شبه نفسه بالسجين تطوقه الجدران، وهذا يناسب حجم المعانة التي تحتاج صبراً من نوعٍ خاص.

أظل أبحث عني قد تركت هنا بعضي وأكثرني في التيه يرتحل

من جماليات البيت إضافة ضمير المتكلم –مسبوقاً بنون الوقاية– إلى أفعل التفضيل (أكثر)، كما تعززت جمالية البيت من المفارقة في:

(أبحث/ تركت) = الرغبة/ العزوف

(بعضي/ أكثرني) = القليل / الكثير

(أظل / يرتحل) = البقاء والثبات / التنقل والتغير

(هنا / التيه) = مكان / لا مكان

ثم تأتي إضاءة أخرى مع بيتٍ آخرَ تأكد أصالة التجربة الإبداعية عنده:

يدس في خطواتي آثاره فأرى ظلال من عبروا في الجمر واتصلوا

فدلالة المرور ترتبط =بالدرب

وآثار الأقدام = توحي بمن سبق (توافق معنى المسبوق إليه المبتذل)

والفعل يدس يوحي بمحاولات الشاعر للتخلص من المبتذل المعهود الذي يحول بين الشاعر وبين النفاذ إلى خبايا المعاني الفريدة والدلالات البعيدة، التي تجعله يقدم عملاً إبداعياً متميزاً.

ونرصد في هذا البيت مدى براعة الشاعر في سبك النص، وربط أجزائه وتلاحم أطرافه، فالترابط يظهر في (الخطوات/ الآثار/ العبور/الوصول) فكلها من حقل دلالي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعتبة (حين لا تصل)، ثم قال:

أبصرتهم حين مروا قال عارفهم خلفت أهلي وها قد جئت يا جبل

فالرؤية في البيت السابق ناسبت آثارهم التي تركوها وراءهم، أما الإبصار في هذا البيت الأخير فقد ناسب إدراك حقيقتهم؛ أي أن تحقق المعرفة تمت بالمخيلة (العقل) والبصر (الجارحة) معاً. قال تعالى: ((وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)) (الأعراف: 198)، ولأن الفعل أبصرت يتضمن دلالة مكانية جاء في البيت ما يناسبها وهو الطود الشامخ: (ها قد جئت يا جبل)، فدلالة الإبصار ما تزال تفرض نفسها في البيت حيث لا مجال لأن يخفى الجبل على ذي بصر، وهذا ما يمكن أن نعبر عنه بإحكام النسج وبراعة التعبير.

وأيضاً مازال في البيت ما يشع بدلالات ويوحي بمعان مترابطة تعزز معنى التفرد في التجربة الإبداعية لدى المزوغي؛ حيث توحي كلمة الأهل = بالانتماء إلى طائفة الشعراء وأهل القريض، وتوحي كلمة (خلفت) بالمغايرة في الاتجاه، والخَلف ضد ما تقدم وسلف، وهو هنا يدل على اختيارات الشاعر الدقيقة ومعانيه الإبداعية اللطيفة، وأسلوبه الإبداعي الفريد؛ حيث قال ابن منظور: "الخَلَفُ، بِالتَّحْرِيكِ وَالسُّكُونِ، كُلُّ مَنْ يَجِيءُ بَعْدَ مَنْ مَضَى، إِلَّا أَنه بِالتَّحْرِيكِ فِي الْخَيْرِ، وَبِالتَّسْكِينِ فِي الشَّرِّ" (ابن منظور، 1414، 85/9)، وكان أقرب منه التعبير بـــــ (تركت أهلي) لكن دلالة الترك توحي بإرادة التارك؛ لذا لم يستعملها الشاعر لأنها ستقلب المعنى المراد.

أما العارف فهو صاحب رسالة ذات معنى كثيف للغاية لأنها تتضمن جملة واحدةٍ يتركز معناها في كلمة واحدة (يا جبل) فهل تعني أنه جبل شامخٌ لا يخفى على الناظر في بطحاء الشعر؟.

إننا نتعامل مع نصٍ إبداعي تنبثق جمالياته وتتكاثر بقدر مطالعته وتكرار قراءاته، فمع كل قراءة تنبلج معانٍ ودلالاتٍ جديدةٍ، تُـــــــنبئ بانفتاح النص، واحتوائه دراً نفيسةً، ومعانٍ بديعةً؛ فمثل ما قال المتنبي:

هذا عتابك إلا أنه مقة قد ضمن الدر إلا أنه كلم (المعري، 2008، ص: 1169)

نجد المزوغي في ذات النص يقول:

هذا الحنين الذي خبأته لغة بكل مفردة للعشق تشتعل

هذا التناص الخفي وظفه الشاعر وفق آلية الامتصاص، وعبر به المزوغي عن ذات المعنى الذي ورد في بيت المتنبي، بأسلوب إبداعي بعيد عن الابتدال، بل تميز بيت المزوغي بجلاء دلالة الحب والمحب ووضوحها من خلال استعمال الشاعر كلمتي (الحنين/ العشق).

ثم يستمر الشاعر في تكثيف الدلالات حول الأنا مما يعزز من انفتاح النص على دلالاتٍ جديدةٍ

حيث قال:

لي لحظة عندها ما ضمها أبد أو خط حرفاً لها في سفره أزل

فالضمائر التي تتزاحم في البيت تنقسم إلى قسمين يؤكدان معنىً واحداً

فضمير المتكلم في "لي" وما يوحي به من الخصوصية، وضمير الغائب المؤنث (ها) الذي يحيلنا فيه الشاعر إلى لحظة ميلاد القصيدة عنده هذان الضميران يوحيان بتفرد العلاقة بين الشاعر والقصيد فعلاقتهما علاقة فريدة لم تُعهد فيما مضى، ولن تتشابه مع ما سيأتي، ثم تتجلى هذه الدلالة وتتعزز بالضمائر الأخرى في:" لا ضمها أبدٌ / ولا خط حرفاً منها الأزل في سفره" كما تتأكد الدلالة ذاتها من خلال ما توحي به كلمتي: (أبد / أزل) للدلالة على ما انقضى وما سيأتي.

وهكذا تستمر استجابة القارئ للنص من خلال تقنية التجلي والخفاء التي أتقنها الشاعر عند نسجه لهذا النص الإبداعي، ليكتشف المتلقي أن الشاعر يتحدث عن شاعريته وتجربته ومعاناته في بناء القصيدة، برمزية لطيفة، ولغة شعرية إبداعية، فالقصيدة عند الشاعر لحظة متجددة متفردة، لحظة ليست ككل اللحظات، لحظة لم تكن قد ولدت من قبل ولن تولد من جديد، لحظة لم يؤرخ لها الأدباء، ولا تشبه لحظات الشعراء المتقدمين، ولن تتكرر مع المتأخرين، فهي لم تكن إلا له وبه هو وحده، ليتجلى عظم الأنا وضخامة صوتها.

لكن القارئ سيتساءل عن ماهية تلك اللحظة وما جوهرها؟ إنها اللحظة التي يجد فيها الشاعر نفسه، يجد الإنسان بكل معاني الإنسانية، فهي وحدها التي تمثل الشاعر المزوغي وتعبر عن عالمه.

الخاتمة:

إن فضاء المزوغي الشعري فضاءٌ رحبٌ، فضاء تجتمع فيه الحكمة وجزالة الألفاظ، مع نُبل المعاني، وسمو الأفكار، ناهيك عن جماليات التقديم والتأخير، وبراعة توظيف التكرار في إحكام الصور البديعة، أما المحسنات البديعية فقد انقادت لملكة الشاعر وموهبته الشعرية؛ حيث تتجلى بحللها البهية المنمقة، بألفاظٍ رشيقةٍ، ومعانٍ أنيقةٍ، لترسم الفضاء الشعري العامر بالحب والقيم الإنسانية ومبادئ الدين الحنيف.

لذلك فإن ما يقدمه المزوغي يدل على أنه مبدعٌ متفردٌ بأسلوبه الرفيع، وملكته الشعرية، ودروبه في القصيد ليست ككل الدروب.

فهو يقدم أفكاره ويعرضها من خلال زاوية فريدة ينظر من خلالها المزوغي، ويكشف لنا عن رؤاه بأسلوب فني يتجلى فيه إبداعه، وتمكنه اللغوي، وحسه الجمالي، وشاعريته الفذة وإحساسه المرهف؛ بحيث تدهشنا المعاني التي يصورها، وتدعونا إلى مزيد التأمل، فمع أن المعاني مطروحة في الطريق إلا أننا نكتشف أننا لم نكن ندركها، و لم تكن نعرف خباياها وما تنطوي عليه من جمال؛ إذ نتفاجأ بما فيها من حسن وروعة.

وهكذا فقد كانت قصيدة "حين لا تصل" أولى قصائد المزوغي التي ضمها ديوانه المسمى بـــــــ "العارفون" وهي قصيدة كفيلة بأن تنبئنا بأننا أمام نص شعري عالي الطبقة، وأمام شاعر مبدعٍ يأسر المتلقي بما يقدمه من فضاءات شعرية تعج بالإيحاءات التي تنسجم مع قراءات متعددة، نسجها الشاعر بلغة شعرية غاية في الانفتاح، لا تقبل تأويلاً واحداً، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن نجزم بأن دلالاتها تنحسر عند معنى بذاته؛ لأن ذلك يسلبها قدراً كبيراً من جمالها الذي نكتشف فيه جديداً مع كل قراءةٍ جديدةٍ.

النتائج:

إن قوة الملكة الشعرية النابعة من رهافة الحس ودقة التأمل عززها الشاعر بتمكنه اللغوي وسعة اطلاعه وثقافته الواسعة كل ذلك جعله يمتلك طاقات تعبيرية عالية التأثير؛ حيث أسهم ذلك في امتلاك الشاعر عدةً متكاملةً من تقنيات تشكيل الصورة، ومقومات بناء المعنى الشعري، إضافة إلي تنوع الأساليب الذي جمع فيها أسلوب السرد ومقوماته التعبيرية من خلال اعتماد أسلوب التشخيص، وإجراء النص مجرى القص، والسؤال والجواب، مما أحدث تنوعاً أسلوبياً بديعاً يعزز من قيم النص التأثيرية.

ولذلك:

فإن قصيدة المزوغي المسماة "حين لاتصل" تزخر بالعديد من مظاهر الإبداع ومقومات البراعة التي يمتلكها الشاعر.

ومن براعة الشاعر أنه ينحو بالمعاني إلى أقصى درجات الإعلامية ويستخدم في ذلك تقنية الفجوات النصية ومخالفة التوقع والتقديم والتأخير.

إن هذه القصيدة تدل على وعي الشاعر التام بأن الخروج عن مألوف المتلقي هو أحد دعائم اللغة الشعرية؛ لما يحققه هذا الخروج من كسر للتوقع والتخلص من رتابة اللغة ونظامها المعياري، مما يعزز من نجاح عملية تلقي النص.

إن خروج الشاعر عن السائد المألوف في اللغة، وكسر التوقع والانحراف عما هو معهود لدى المتلقي إضافة إلى كونه عامل تميّز للخطاب الأدبي عامة، أيضاً له دور جمالي كبير حيث يسهم في لفت انتباه المتلقي، ومن ثمة التأثير فيه، وتوصيل الرسالة التي يريدها الشاعر.

التوصيات:

يوصي الباحث بإجراء دراسات أخرى للنتاج الشاعر محمد المزوغي؛ لإثراء الممارسة النقدية المتخصصة، من منطلق العمل التكاملي ومن باب الدراسة التراكمية التي نفتقدها في عالمنا العربي عامةً، وفي ليبيا على وجه الخصوص وكل ذلك يصب في جهدٍ غايته هي: رسم صورةٍ واضحةٍ للمشهد الثقافي الليبي في العصر الحديث. والتعريف به عربيًا وعالميًا.

المراجع :

ابن منظور، لسان العرب، ط3، 1414هـــــ. دار صادر، بيروت، لبنان

أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي تحقيق: محمد سعيد المولوي ط1، 2008م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، 1424ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

أومبرتو إيكو. التأويل بين السّيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، ط2، 2004، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب

جهاد المجالي: دراسات في الإبداع الفني في الشعر: رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي والنقد الحديث، ط1 2008م، دار يافا، عمان، الأردن.

روبرت ألان دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط1. 1980، عالم الكتب. القاهرة، مصر.

سرحان جفات، التأويل وقراءة النص، ط1، 2010م، دار الينابيع، ستوكهولم، السويد.

عبد القادر فيدوح، إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، ط1، 2009م، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق سوريا.

عذاب الركابي، 2007، ما تبقى من سيرة الوجد، وأبجدياتُ الذَّاكرةِ الصُّوفيَّة، مجلة معابر مجلة إلكترونية، رابط المقال: http://maaber.50megs.com/issue_july05/books_and_readings10.htm

علاء الدين محمد الأسطى. حداثة القصيدة العمودية في شعر محمد المزوغي" المجلة الليبية للدراسات، المجلد 7، العدد 13، ديسمبر 2017، ص: (13: 24) الناشر دار الزاوية ليبيا.

محمد الصادق الخازمي، تشخيص الحب في ديوان لا وقت للكره مجلة الجامعي العدد 28 (2018): مجلة الجامعي، ص: (30: 51) الناشر النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس بمؤسسات التعليم العالي بدولة ليبيا.

محمد المزوغي، العارفون، ديوان شعر، ط1، 2018م، دار إمكان للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا.

يونس الفنادي، القيم الإنسانية والأبعاد الوطنية في ديوان لا وقت للكره للشاعر "محمد المزوغي"، ط1، 2019، دار إمكان للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا.